مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 08 عدد: 3 السنة: 2019
ص:345 - 353 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الهوية والأمن اللُّغوي في ظل العولمة.

Identity and linguistic security in the light of globalization

د. محمد الفاروق عاجب*

Mohamed Farouk Adjeb

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط/ الجزائر.

Crsic – Laghouat / Algeria

Adj.farouk@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2018/12/15	تاريخ القبول: 2019/05/13	تاريخ النشر: 2019/07/15

ملخص البحث

مادامت اللُّغة وعاء الهوية ولسان المواطنة وحاملةً للموروث الثقافي والحضاري، وآلةً للإنتاج المعرفي والإبداعي فإنَّ ضعف الوعي بمفهوم "الأمن اللُّغوي" وغياب الوعي بأنَّه الجوهر الأول من جواهر الهوية، وبأنَّ إفتقاده من إفتقاد الأمن العسكري أو الاقتصادي أو الغذائي أو المائي، فـ"الأمن اللُّغوي" عمادٌ محوري من أعمدة الأمن القومي برمَّته، ويتطلب منَّا هذا الحفاظ على لغتنا العربية والنُّهوض بها وتمكينها والعمل على أن تكون وافية بمطالب العصر متَّسعة لحاجاته وثورته المعرفية في ظل ظاهرة الكونية الثقافية المتسرِّة بعباءة العولمة وإمتداداتها.

وسأتَّجه في بحثي هذا وأنا أعالج الهوية والأمن اللُّغوي إلى النُّخبة الفكرية حيث ورشات إنتاج الأفكار، وإلى النُّخبة السياسية حيث مطاهي صناعة القرار، وإلى الجمهور الذي على كواهله تنبثق الأفكار وعلى سواعده يتنزَّل القرار، مؤكداً على ضرورة التكامل فيما بينهم لنحفظ هويتنا وأمننا اللُّغوي.

الكلمات المفتاح: "الهوية"، "الأمن اللُّغوي"، "العولمة"، "اللُّغة العربية".

Abstract :

The civilisational battle in this age revolves around multiple interlocking facets, It is a battle between the clash of cultures and the grinding of identities and the rivalry on convictions, Then it is a relentless fighting on the centres of linguistic influence, the language is the mother of references in the construction of cultural architecture and in building its cultural heritage, there is no identity without culture or culture without language.

* محمد الفاروق عاجب. Adj.farouk@yahoo.fr

As long as the language is the container of identity and the language of citizenship and the cradle of cultural and civilizational heritage, and a tool for cognitive and creative production, the lack of awareness of the concept of "linguistic security" , the lack of awareness that it is the first essence of the jewels of identity, and that its absence is similar to the absence of military, economic, food or water security. The "linguistic security" is pivotal pillar of national security as a whole; this requires us to preserve, advance and empower our Arabic language, and to work to be adequate to the demands of the age for its needs and knowledge, in light of the cosmopolitan phenomenon of globalization and its expansion.

In my research, I will address identity and linguistic security to the intellectual elite, where the workshops of the production of ideas, And to the political elite where decision-making workshops, And to the public on whose minds the ideas emerge and on whose sleeves the decision comes down, stressing the need for integration among them to preserve our identity and our linguistic security.

Keywords: Identity, Language Security, Globalization, Arabic Language

تمهيد:

ما كنت أحسب أنِّي أعود إلى قضية "الأمن اللُّغوي"[1] شاركت في المؤتمر الدولي الثاني للُّغة العربية بالإمارات العربية المتحدة –دبي– المنعقد في 10/07 مايو 2013م والذي نظمه المجلس الدولي للُّغة العربية بالتعاون مع منظمة اليونسكو ومكتب التربية العربي لدول الخليج واتحاد الجامعات العربية وعدد من الهيئات الدولية وقد حمل المؤتمر شعار:"اللُّغة العربية في خطر: الجميع شركاء في حمايتها"، ووجهت الدعوة لوزارات الثقافة والتربية والتعليم العالي والإعلام والجامعات والعمل والبرلمانات ومجالس الشورى، ومجامع وجمعيات اللُّغة العربية ومراكز الأبحاث، والهيئات والمنظمات العربية والدولية المعنية باللُّغة العربية، إضافة إلى جميع المختصين والمهتمين باللُّغة العربية عربيا ودوليا.

الجميع حضر وشارك في فعاليات المؤتمر من إثراء النقاش والحوار وتبادل الخبرات والتجارب والمعارف مع المختصين والمشاركين في المؤتمر، وخرج الجميع بتوصيات تضمن للغتنا العربية نهضتها وتمكينها وتعزيز تواجدها في جميع المؤسسات الحكومية والأهلية والاجتماعية.

وماكنت أحسبني عائدا لأنِّي حين شاركت بالبحث الموسوم بـ"أثر القرار السياسي في الأمن اللُّغوي"[2] والذي ضمَّنته ما كتبه الباحث الجزائري صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للُّغة العربية –حاليا– الذي كان له فضل السبق في اِشتغاله على قضية "الأمن اللُّغوي" في كتابيه "يزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم" و"في الأمن اللّغوي"؛ هذا الأخير الذي اِقتنعت فيه معه على أنَّ العقدة التي تعاني منها الأمة العربية عامة والجزائرية خاصة تكمن في النية العلمية والعملية لدى النخبة وفي الفعل والإرادة السياسية لدى المسؤولين لحلِّ المسألة اللُّغوية، وإنَّ رقي اللُّغة يعتمد على وعي الأمة التي تنتمي إليها، ومدى حرص أهلها على رعايتها وحمايتها ونشرها والعمل على تقدُّمها، وحرصت أن أشارك لأقدِّم للنُّخبة وأصحاب القرار والجمهور معنى عميقا للوعي المستقبلي وأرسلت من خلاله صيحة ظننت أنِّي لن أقوى على زفيرها كرَّة أخرى وها أنِّي أعود، آملاً أن يصادف صدى صيحتي قلوباً صاغية وإن لم يصادفها فلغوٌ أن تنادي من لا يسمع ولا يُصغي ولا يعتبرُ.

أعود لأنَّ "أحداثا جدَّت لم يكن لنا بها لا سابق عهد ولا سابق توقع واِحتمال، ولأنَّ منعطفات تتالت وأخرى تتوالى، وكلُّ ما فيها يومئ إلى اِنبثاق ضربٍ من الوعي جديد كأنَّه طارئٌ يطلُّ على غير ميعاد، تتأمله فتقول هو فواتح أفقٍ جديد، ثم تعيد النظر باستبصار مغاير فتقول هو إطلالة أعراف متمكِّنة (...) خللٌ جليل أن نتغافل عن تراتب الأزمنة، إذ في تضاعيف الوعي بها يكمن جوهر الإدراك ومغزى التأويل، وعليها ترتب علاقة الفكر بالوجود".[3]

أعود لأنَّ النخبة في غفلة وبعضهم يتغاضى ويتقاعس عن المشاركة في السِّجال اللُّغوي، وأن يكون لهم دورٌ بارز ورأيٌ مسموع في كلِّ ما يجري ويحدث من حولنا من الحدِّ من ظاهرة "التلوث اللُّغوي" الذي ظهر في أثواب جديدة بحكم اِنتشار وسائط الاتصال المستحدثة، ونخصُّ منها بالذكر طفرة البث الفضائي الغزير وما تجنح إليه قنواته من منازع البث الترويجي دون أيِّ اِعتبار لمرجعيات القيمة التعبيرية، وهو اِزدهار سوق التواصل الافتراضي عبر المواقع الاجتماعية، وما نجم عنه من اِنفجار مسالك المحاورة في اللحظة المحينة، وإذا بلغة جديدة تنشأ بموجب تلقائية الفعل وردِّ الفعل وهي لغة تتركب أمزاجا وأخلاطا فتتولد منها عربية هجين".[4]

إنَّ الظواهر السلبية تتفاقم وتتعاظم ضعفا في مناهج تعليم اللُّغة العربية، وعجزا عن تطويرها واِنهيارا في مستوى من يتعلَّمون في المدارس والجامعات، وشيوعا للأخطاء الفادحة على

الألسنة والأقلام في وسائل الإعلام وفي مجالات اِستخدام اللُّغة بشكلٍ عام، وانتشارا للأسماء الأجنبية التي أسرف الناس في إطلاقها على ما حولنا وليس هناك من يردُّهم –بالقانون والوعي– في هذه الممارسات الخاطئة التي شأنها تدمير الهوية وتشويه صورة الوطن وزعزعة الانتماء.

"إنَّنا على يقين قاطع أنَّ واقعنا العربي إذا تواصل اِستخفاف قادته بالمعضلة اللُّغوية ولم يحسموا أمرهم في رسم اِستراتيجية ملزمة تقوم على سنِّ سياسة لغوية جريئة سيفرز قريبا حالة من التداول تفرض نفسها بمنطق ضرورة الواقع، فتنبثق مشاهد تعبيرية تتمازج فيها بقايا الفصحى وشظايا اللُّغة الأجنبية –هذه أو تلك– وتأليفات عامية تتأرجح بين الخصوصية المحلية والحدِّ المشترك الأدنى من تقاطع اللهجات العربية ويومئذ ستنجلي المفارقة العظمى بين يسرٍ ظاهر في مجال التداول الشفوي وعسرٍ قاهر في مجال التداول الكتابي؛ سيكون المشهد اللُّغوي متَّشحاً بالاستعصاء، وسيمرُّ زمنٌ قبل أن يتسنى لكلِّ شعب في قطره، أو نظام في بلده، أن يعيد صياغة منظومته اللُّغوية على مقاسات حاجات الضرورة وبعض مقاسات ما سيتبقى من معايير القيم المرجعية".[5]

1– الهوية واللُّغة:

إنَّ اِنعطاف الهُوية على اللُّغة في عبارة تركيبية واحدة يتضمن تبايناً في الجوهر أعانت على إخفائه العادة من حيث هي طبع ملازم، وأكَّدته الأعراف البحثية في معظم تجلياتها. فاللُّغة ظاهرة اِجتماعية، وهي اِصطلاحية بامتياز، تستند إلى مكونين متلازمين، مكوِّن مادي حسي ومكوِّن ذهني غير مادي. أمَّا الهوية فظاهرة رمزية مجرَّدة ليس لها أيُّ تحقق مادي يربطها بعوالم الحسِّ الوجودية. الهوية اِنتماء بينما اللُّغة اِكتساب، والهوية نتوارثها وليس في اللُّغة –أصواتها وألفاظها ودلالاتها– شيئٌ ينقله الوليد عن أمِّه أو أبيه لمجرَّد أنَّهما أمَّه وأبوه، فلا أثر للُّغة في الخزينة الوراثية ولا في شفرة حَاملها.[6]

والهوية في معناها العام هي الذاتية والخصوصية، وهي جماع القيم والمثل والمبادئ التي تشكِّلُ الأساس الرَّاسخ للشخصية الفردية أو الجماعية. الهُوية: من الضمير هُوَ فيقال: من هو فلان؟ سؤال عن شخصه وخصاله وفرادته ولغته وانتمائه، وهي كما يعرِّفها الباحثون:" مجموعة الخصائص والمميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمَّة والتي تتوارث عن ماضٍ ذي تاريخ وتراث ولها في التراث من لغة ودين، وما للأمة من اِنتصارات وانتكاسات وطموحات وانتماءات

وخصائص تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره فيصبح ويبقى هو ذاته ونفسه، ويكون بهذا قد أعطى الجواب عن سؤال (من هو؟)".[7]

وإنَّ الهوية لا تتمثل فقط في اللُّغة أو العرق أو الحيِّز الجغرافي فهي أبعد من هذا؛ وقد حدَّدها –ابن باديس (رحمه الله)– في مجموعة المقوِّمات التي تجعل الإنسان متميزا في تفكيره ولغته وسلوكه عن أبناء الأقوام الأخرى فهي:

–اللُّغة التي يُعرب بها ويتأدب بآدابها.

–العقيدة التي يبني حياته على أساسها.

–الذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها.

–الشعور المشترك بينه وبين من يشاركه هذه المقوِّمات.

والأمازيغية التي يجري الحديث بشأنها في هذه الأيام ماهي إلاَّ وجهٌ من أوجه التعبير اللُّغوي له مكانته ويمارس في مستويات معينة وفي مجالات محدودة، ومن ثمَّة فليست هناك ضرورة لجعله عنصرا قائما بذاته.[8]

وهكذا يتضح لنا أنَّ هوية الفرد في عقيدته وجنسه وأرضه ولغته وثقافته وحضارته وتاريخه والروح المعنوية والجوهر الأصيل الوطني والمصالح المشتركة. وإنَّ "سلاح الكونية الثقافية الغازية إنَّما هو اللُّغة فباللُّغة تغزو لتكسح قلعة الهوية الثقافية باختراق سورها، ثمَّ بنسفها من الدَّاخل، وما سورها المسيَّج لها إلاَّ اللُّغة".[9]

2– اللُّغة العربية إلى أين...!؟

اللُّغة هي الرمز الأعلى المعبِّر عن الهوية، وباعتبار اللُّغة كائنا حيا، ينمو ويتطور وفق خصائص الماهية المكونة لها تحتاج إلى تطوير وتفعيل من أجل أمانها وسيرورتها وخاصة مع عصر العولمة[10] الذي لا يبقي إلاَّ اللُّغة الأقوى، فتحتاج كلُّ اللُّغات أن تتحصن من القادم الجارف " تلوح في الأفق ملامح غزوٌ شرس يستهدف اِجتياح اللُّغة وشعوب تتوجس خيفة على أمن وجودها اللُّغوي، فانبرت تحصِّن ذاتها بما ندعوه بـ (الأمن اللُّغوي) خاصة إبان ظهور العولمة التي نشأت بعيد الانقلابات والتغيرات والتطورات في البنى الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية والإيديولوجية في المجتمع الأكثر تحديثا وحداثة".[11]

إنَّ السؤال المتعلق بمصير اللُّغة العربية ربَّما كان فيما مضى، ومن خلال منعطفات زمنية وتاريخية مختلفة ضرباً من الاحتشاد الوقائي، وقد كان بالفعل كذلك منذ بداية النهضة العربية الحديثة، واِستمرَّ على ما هو عندما جثم الاستعمار ثمَّ تمكَّن واِشتدَّ طيلة سنوات المقاومة والتحرير، ولكنَّه في هذا الزمن الجديد، ومع تفتق التاريخ عن الاستعمار الثقافي الجديد، قد غدا سؤالاً راهناً، ضاغطاً، حارقاً، لا يحتمل التأجيل، بل أضحى من أمهات الأسئلة لأنَّه بثقله الرمزي يقوم مقام أركان الصراع الكلاسيكية كلَّها: السياسي والحربي والاقتصادي والعسكري نؤكِّد هذا ونحن نرتجي أن يخبئ لنا المستقبل العربي مفاجآت سعيدة تعيد الاعتبار إلى اللُّغة القومية وتعين على تطهير أحاسيسنا حول الهوية.[12]

"إنَّنا أمَّة لا تنفك تعمل على ضياع هويتها اللُّغوية وليس من اليسير إقناع الناس بأنَّ للتاريخ أطوارا وللقضايا اللُّغوية محطات، وهي اليوم غير ما كانت عليه بالأمس، وقد لا يخفي هؤلاء جميعا اِستغرابهم الأقصى إذا كاشفناهم بحقيقة جديدة تخلَّقت في رحم الأحداث الكونية غير المسبوقة، وهي أنَّ اللُّغات الأجنبية لم تعد هي العدوُّ الأول للُغة العربية، وإنَّما العدوُّ الذي في مستطاعه أن يُجهز على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى؛ ولاسيما حين تغزو قلاع المؤسسة التعليمية".[13]

"...فكيف نتحدث عن الموارد البشرية وتنميتها أو عن التخطيط المستقبلي الشامل ونحن نعيش اِنفصاماً بين أدوات المنظومة التربوية وشروط النهضة الحضارية؟ كيف نرقى إلى آليات الاستثمار في حقل التواصل؟ وكيف نمسك بأساسيات اِقتصاد المعرفة ومجتمعنا العربي هو المجتمع الوحيد –بين سائر مجتمعات المعمورة– الذي يفتقر لمشروع لغوي واضح السمات متناسق الغايات منسجم الرؤى؟ بم سيجيب ساستنا حين نذكِّرهم بأنَّ اللُّغة العربية قد كان لها –على وجه القطع واليقين– من الوزن الاعتباري لدى كلِّ فئات المجتمع أيام الاستعمار أضعاف مالها منه الآن بعد عقود من دولة الاستقلال؟ ومن له أدنى قدر من الحصافة يعلم أنَّه من المتعذر على أيِّ مجتمع أن يؤسِّس منظومة معرفية دون أن يمتلك منظومة لغوية تكون شاملة، مشتركة متجذِّرة، حمَّالة للأبعاد المتنوعة فكراً وروحاً وإبداعاً. فاللُّغة هي الحامل الضروري الملازم لكلِّ إنجاز تنموي، والذي له ذاك القدر الأدنى من الرَّوية والرجحان عليه أن يعرف أنَّ اللُّغة –بما هي موضوع للتعليم وللبحث

وللإنتاج- ركن أساسي في كلِّ مشروع اِقتصادي. لقد آن الأوان –ويكاد يفوت- أن نكفَّ عن اِعتبار اللُّغة مجرد أداة للتعبير يمكن أن نستبدل بها أيَّ أداة تعبيرية أخرى".[14]

3- النُّخبة وصُنَّاع القرار:

إنَّه لا ثقافة بغير هوية حضارية، ولا هوية بغير إنتاج فكري، ولا فكر بغير مؤسسات علمية متينة، ولا علم بغير حرية معرفية، ولا معرفة ولا تواصل ولا تأثير إلاَّ بلغةٍ قومية تضرب جذورها في التاريخ، وتشارف بشموخ حاجة العصر وضرورات المستقبل، إنَّها تعاضلات بالغة التوالج بين الشأن اللُّغوي والشأن المعرفي والشأن الاقتصادي ولا جامع لها كلها إلاَّ مؤسسة صناعة القرار.[15]

" إنَّنا نعتقد أنَّ غياب القرار السياسي الحازم هو وراء كلِّ هذا العجز وهذا التأخير والتقصير، ويبدو طبيعيا في بلاد تتقدم فيها الاعتبارات السياسية على أيِّ اِعتبارات أخرى وفي هذا المقام فأنا لا ألوم القيادات السياسية بل ألوم أنفسنا –نحن أنصار التعريب- لأنَّنا أخفقنا في أن نجعل التعريب مطلباً سياسياً تعطيه القيادات السياسية ما يستحقه من أولوية ".[16]

فإذا دققنا في " مصطلح (القرار السياسي) نعني به قرار السلطة الحاكمة في أعلى مستوياتها و التي لها فعل الخميرة في العجين، حيث لها أثر التغيير الفعلي والسريع، فالناس على دين ملوكهم (...) والمطلوب من أصحاب القرار إبداء صدق النوايا في العمل على تحسين وضع العربية عن طريق:

- الشروع في تطبيق تعميم اِستعمال العربية وعلى مراحل.
- إنشاء لجان المتابعة.
- إرداف ذلك بالقرار السياسي".[17]

إنَّنا نريد من أصحاب القرار أن يتبنوا حول "الهوية والمسألة اللُّغوية" خطابا يستوفي كلَّ أشراط الوعي الحضاري وتجسيده فعليا في واقع الحياة، نعم إنَّنا بحاجة إلى اِنبثاق وعي حضاري جديد يحمل رؤى جديدة تعمل على التغيير والتخطيط وعلى تحصين النظام التربوي، وبناء الإنسان الحرِّ الواعي الأصيل.

هوامش:

[1]- أول من إستعملت مصطلح (الأمن اللُّغوي) العالمة اللِّسانية "نيكول غوتيه" في بحث لها عن مظاهر التعدد اللُّغوي في المجتمعات الخليط، وبالذات في تجمُّعات المهاجرين بفرنسا، فرأت أنَّ هذه التجمعات تشكل خطورة (اللاَّأمن لغوي) في منظور التواصل والانسجام المجتمعي، وأنَّ تفتيت المجتمعات من الداخل يأتي من التسامح اللُّغوي. ينظر: صالح بلعيد في الأمن اللُّغوي دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2010م، ص43.

[2]- ينظر: الأستاذ محمد الفاروق عاجب، القرار السياسي وأثره في الأمن اللُّغوي المؤتمر الدولي الثاني للُّغة العربية تحت عنوان:"اللُّغة العربية في خطر: الجميع شركاء في حمايتها"، الامارات العربية المتحدة، دبي، 07-10 مايو 2013م/ 27-30 جمادى الآخرة 1434هـ، المجلد رقم: 01، ص510.

[3]- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللُّغوي –دراسة وتوثيق-، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 بيروت، تموز/يوليو، 2014م، ص11-12.

[4]- المرجع نفسه، ص17.

[5]- المرجع نفسه، ص18.

[6]- المرجع نفسه، ص259.

[7]- عبد الهادي بوطالب، أزمة الهوية في نظم التعليم في العالم الإسلامي، مطبوعات الأكاديمية الملكية المغربية الرباط 1991م العدد رقم: 08، ص107-108.

[8]- عبد القادر فضيل، اللُّغة ومعركة الهوية في الجزائر، جسور للنشر والتوزيع المحمدية، الجزائر، ط1، 2013م-1434هـ ص231.

[9]- المرجع نفسه، ص231.

[10]- العولمة مصطلح جديد ترجمه العرب عن مصطلح (Globalization) المأخوذة من كلمة (Global) بمعنى كروي أو عالمي وشامل، وقد إستقرَّ لدى الدارسين أنَّها تعني "نظام عالمي جديد قائم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون الأخذ بعين الاعتبار الحضارات والقيم والثقافات والأعراف والحدود الجغرافية والسياسية السائدة في العالم قاطبة". ينظر: علاء الدين ناطوريه، العولمة وأثرها في العالم الثالث التحدي والاستجابة، دار زهران للنشر، عمان، الأردن، (د.ت)، ص9-10.

[11]- منير الحافظ، الوعي اللغوي الجمالي في فلسفة الكلام، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2005م ص160.

[12]- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللُّغوي –دراسة وتوثيق-، ص262.

[13]- المرجع نفسه، ص262-263.

[14]- المرجع نفسه، ص263.

[15]- المرجع نفسه، ص272.

[16]- ممدوح خسارة، التعريب بين القرارات و التوصيات (وجهة نظر)، مجلة التعريب المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1978م، العدد رقم: 13 ص27.

[17]- صالح بلعيد، في الأمن اللُّغوي، ص41.